وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى \ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شِــعرُ أَبــي نُواس
دِراسَةٌ تداوِلِيّة

أطروحة مُقَدمَة إلى

كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة دَيالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية \ أدب

من قبل

حُسَين عمران مُحَمَّد

بإشراف

أ. م. د. عَليّ مِتعب جَاسِم

جمادى الأخر 1436هـ **نيسان 2015م**

المبحث الثاني : استراتيجيات القصد ومستوياته اللغوية

المبحث الثالث : القصدية والإفتراض المسبق

المبحث الرابع : القصدية والسِّياق

المبحث الخامس : الإشاريات والمقاصد

المبحث الأوّل

قصديّة المتكلم

يشكل مصطلح القصديّة أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات الحديثة والركيزة الرئيسة الفاعلة في التّداوليّة , أما المرسل فهو القطب الأوّل من أقطاب العملية التخاطـبية . ومن البديهي أنّ الأفعال هي ما يقوم الناس بعمله وقد يتردد الإنسان في اطلاق صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل وعليه فلا يُسَمَّ الفعل فعلا ما لم يصحبه القصـــد .[1] والمقصديّة في سياق التّداوليّة تعني الدلالة والفهم ؛ لأنّ الدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل والفهم يعني الإعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المرسل .[2] إنّ مفهوم المقصدية نجده لدى علماء النفس الظاهرتيين وفلاسفة اللغة وهو ليس

إلا جزءا من اشكالية أعم تبحثها فلسفة الفكر ويهتم بها علم التشريح . ويمكن تصنيف المعالجات اللسانية الحديثة للمقصدية لدى فلاسفة اللغة الى تيارين :

1-كرايس ومدرسته : لقد تبنى مفهوم المقصديّة كونها أولية غير قابلة للتحديد ولكنه وضح الإطار الذي يقع فيه وأنواعه . وإنّ التواصلية القصديّة تفترض مرسلا ومتلقياً , بيد أنّ المقاصد أنواع تتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم وثانوي فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم , وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أنّ يجعل المتلقي يعترف بأنّه يريد منه جوابا ملائما . ويحصر كرايس مقاصد المتكلم للتأثير في المتلقي بناء على ميثاق بينهما .

2-سورل : فرق سورل بين مفهومين هما القصد ما كان وراءه الـوعي والمقصديّـــة التّـي

---

(1)- ينظر تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) , محمّد مفتاح , دار التنوير للطباعة والنشر , بيروت – لبنان , ط 1 , 1985 : 140

(2)- ينظر , م . ن : 163

تجمع بين الوعي واللاوعي . والمقصديّة عنده تكون لغوية وغير لغوية سابقة وحاصلة أثناء العمل والسلوك اللغوي مشتق من المقصديّة وليس العكس فهي التي تحكم في الأفعال الكلاميّة بتحديد أشكالها وخلق معناها .[1] ومن ثم فأنّ " المقصديّة في أفعال الكلام يفهم تحت مقصد المنجز أو دوره الإنجازي المقصود والمتحقق " .[2]

إنّ الوظيفة الأوّلى للألسنة الطبيعية هي التواصل , والتواصل الذي نعنيه هو التواصل القصدي أو بعبارة أدق " التواصل التقاصدي " أي الذي يتحقق فيه القصد من جهتين , جهة المتكلم وجهة المخاطب , فعاقد الكلام لا يسمى متكلما إلا إذا كان قاصدا التوجه بسمعه الى المتكلم , إذ السامع الذي يقع الكلام في سمعه صدفة لا يسمى مخاطبا .[3]

إنّ مسألة القصدية وإن أقصيت من أحضان الدلالية بالمعنى الضيق للكلمة , فقد لاقت ترحيبا كبيرا بين التّداوليّين , وهكذا ذهب أنسكومبير الى أن معنى الملفوظ يمكن إرجاعه

الى مقاصد المتكلم التي كانت باعثة على التلفظ به كما ذهب ديكرو أيضا الى أن " فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم " .[4]

إنّ المعنى كيان سيميوطيقي يوجـد داخـل الملفوظ ومنه نستخرجه بمعونة مختلف الكفايات والقرائن . أما القصد فهو ينتمي الى علم النفس ويحيل على رغبة المتكلم في نقل محتوى دلالي – تداوليّ . ومع ذلك فإن الرأي العام ينظر الى أنّ معنى الملفوظ على أنّه – هو وقبل كل شيء – يمثل قصد المتكلم لذا فإنّ المعنى الذي يجتهد المخاطب لإستخراجه

---

[1]- ينظر م . ن : 165

[2]- مدخل الى علم النص , مشكلات البناء , زتسيسلاف واورزنياك , ترجمه وعلّق عليه أ. د. سعيد حسن بحيرى , مؤسسة المختار للنشر والتوزيع , ط 2 , 1431هـ - 2010 م : 28

[3]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة , إعداد وتقديم , د. حافظ اسماعيلي علوي , عالم الكتب الحديث , ط 1 , 1432هـ - 2011م , من بحث " ما التّداوليّات ؟ " عبد السّلام اسماعيلي علوي :24

[4]- ينظر م . ن , من بحث " التأويل الدلالي- التّداوليّ للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول " , إدريس سرحان : 127

من الملفوظ – هو مبدئيا – ذلك الذي يفترض أنّ المتكلم كان قصد إليه . [1]

يعد المتكلم الركن الأوّل من أركان القصد ووصف المتكلم لا يعني به اضافة الكلام الى صاحبه على جهة الفعلية والقصد .[2] وهذا يتفق مع الأصل اللغوي والقاعدة التي تنسب الأفعال الى فاعليها , وقد أكد اللغويون أصحاب نظرية التواصل على أنّ وجود الباث للرسالة اللغوية لابد أن تقتضي بالضرورة وجود مستقبل لتلك الرسالة .[3]

إنّ اشتراط القصديّة في التواصل يحيل الى أنّ هذا الفعل غير عشوائي , إنّما هو فعل مخطط له , ويعني ذلك أن تحليل معاني العبارات والألفاظ اللغوية رهين بتعيين أغراض المتكلم ومقاصده العامة من الخطاب .[4]

ويؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها , لا تابعة لشكلها الظاهري فقط . فعندما ينوي من استدان دينا

ولم ينوِ الوفاء به فأنّه يعد سارقا . كما يتبؤا القصد بمعنى الإرادة أهمية في التفريق بين مرسل صادق وآخر كاذب وفي هذه الحالة لن يكون محتوى القضية اللغوي هو معيار الصدق أو الكذب بل تكون إرادة المرسل هي المعيار .[5]

---

[1]- المصدر السابق والصفحة نفسها .

[2]- نظرية القصد وأثرها في اظهار المعنى والإعجاز القرآني عند القاضي عبد الجبّار المعتزليّ , ليلى عبّاس خميس , مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة , العراق- بغداد , 1428هـ- 2007 م : 63

[3]- ينظر مدخل الى علم الدلالة , فرانك بالمر , ترجمة د. خالد محمود جمعة , دار العروبة , الكويت , ط 1 , 1997 : 23 – 24

[4]- معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة , عبدالله إبراهيم وآخرون , المركز الثقافي العربي , ط 1 , 1990م : 84

[5]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ , دار الكتب الجديدة المتحدة , ط1 , 2004 : 194- 195

كما قد يتركب القصد من درجات فيصبح بعضها أوضح من بعض ولذلك فالمرسل قد يفصح عن قصده بإحدى الدرجات فيصبح بعضها أوضح من البعض الأخر .[1]

وإذا سلمنا بأنّ السلطة ذات سلمية تراتبية أي أنّها تتدرج في القوة فأنّ هذا التدرج لا يخلو من أثر على القصد المرسل , وإنّ القصد يتفاوت بتفاوت مراكز من يتلفظ بالخطاب , وعليه فإنّ تأويل الخطاب الواحد قد يختلف من سياق الى آخر نظرا لإختلاف درجة المرسل وبالتالي سلطته .[2] والإستدلال على مقصد المتكلم وغرضه إنّما يؤسس على مرجعية مشتركة بين المتلقي ومقام المقال .[3]

من الشواهد التي تعزز أنّ السلوك اللغوي مشتق من المقصديّة , ومن ثم فهي التي تتحكم في الأفعال الكلامية بتحديد أشكالها وخلق امكانية معناها قول أبي نواس في قصيدة يصف فيها امراة تغتسل : [4]

فلما أنْ قضـــــــتْ وطرا وهمّتْ على عجل الى أخذ الـــــرّداءِ

رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلامَ على الضياءِ

فغابَ الصبحُ منــها تحت ليـــــلٍ وظلَّ الماءُ يقطر فوقَ مـــــاءِ

هذه الأبيات هي جزء من قصيدة يصور فيها أبو نواس أمراة تغتسل وقد شعرت أنّ رجلا يراقبها وهي تغطي جسدها بشعرها , ونتج عن ذلك غياب جسمها الأبيض بفعل حضور الشعر الأسود . ونحن إذ لم نكن على معرفة بإنزياحات اللغة وحيوية رموزها لاسيما في

---

[1]- ينظر : م . ن : 207 – 208

[2]- ينظر : م . ن : 253 – 254

[3]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة , من بحث " المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية " , منال النجّار , 569

[4]- ديوان أبي نواس , شرح وتحقيق محمد مهرات أنيس , دار مهرات للعلوم , حمص – سورية , ط 1 , 2009م : 19

التعبير الأدبي والمجاز خاصة قوله : " فأسبلت الظلام على الضياء " في :

فغاب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء

لإنّهما موضع توتر البيت شعريا فالألفاظ الآتية (الظلام \ الضياء) , (الصبح , تحت ليل) , (فوق) كلمات مُتّكِئة على المجاز والمقصود بالصبح بياض بشرتها , وبالليل سواد شعرها والمقصود ب " ماء " الثانية لين جسمها ونعومتها . وفي هذه القراءة تتجلى ثلاثة مقاصد : الأوّل , رغبة أبي نواس في التعبير عن الجسد الأبيض والشعر الأسود بعلامتين

لغويتين هما الظلام والضياء , والصبح والليل . الثاني : ظهر في معرفة المتلقي بالقصد . ومقصد ثلاثي : اتضح من خلال التأويل , وهذا التأويل هو ما يعرف بالإنعكاس القصدي وهو ما أراده المتكلم عند تشفير نصه.

وفي ضوء ذلك أن ملفوظا ما لا يعبر فقط عن حالة ما للأشياء حتى يوصف بكونه صادقا أو كاذبا , أنّه اضافة الى ذلك يكشف عما للمتكلم من أفكار وأحاسيس كما يثير أو يستدعي شيئا ما للمخاطب , وهذه عوامل خارجية لا تظهر بالضرورة في البنية , كما أنّها غير ملازمة لها وما يحددها إلا الإستعمال في المقام .[1] من ذلك الخطاب الآتي من شعر أبي نواس :[2]

سخّرَ اللهُ للأمينِ مطايا لم تُسَخِّرْ لصاحبِ المحرابِ

هذا البيت من الأبيات الذي أعتمد على قصدية المتكلم في تأويله , إذ أورد إبن منظور حول هذا البيت خبرا هذا نصه : " إنّ هذا الشعر قاله أبو نواس في محمّد وقد ركب حرّاقته

---

(1)- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة , من بحث " التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول " , إدريس سرحان : 188

(2)- ديوان أبو نواس برواية الصوّلي , تحقيق د . بهجت عبد الغفور الحديثيّ , دار الرسالة للطباعة - بغداد , 1980: 365

الدّلفين , فقال له شيخ الى جانبه : اتقِ الله يا هذا . فقال له أبو نواس : يا شيخ إنّ الله لم يسخّر لصاحب المحراب الدّلفين وقد سخّر له ما هو خير من الدّلفين , فأيّ شيء تنكر من هذا " .[1]

تكشف لنا هذه الرواية أن المخاطب \ الشيخ أنكر على المتكلم أبي نواس قصدا معينا وقام بتأويل لفظة " سخّر " الداخلة عليها أداة الجزم " لم " تأويل يحط من شأن صاحب المحراب

أو النبي سُليمان بن داوود عليهما السّلام .[2] في الوهلة الأوّلى قد يظن القارئ لهذا الخبر أنّ السامع \ الشيخ قد عجز عن ادراك قصد المتكلم أو الوصول الى غرضه , لكن التأمل في الخبر يظهر لنا بوضوح أنّ طرفي الخطاب تجمعهما معرفة مشتركة في السّياق التّداوليّ الديني وهو أنّ الله سخّر لنبّيه سليمان الجن والإنس . وهذه المعرفة كانت نقطة انطلاق المخاطب لفهم قصد المتكلم , ومن ثم وقع السامع \ الشيخ في شراك أنّ الدوال تعبر فقط عن أنّ حكم الإثبات أو النفي عن حالة ما للأشياء , أو بكونها صادقة أو كاذبة , بيد أنّ المتكلم \ أبا نواس كشف أنّ الالفاظ اضافة الى ذلك تكشف للمتكلم من أفكارا وأحاسيسا قد تجسدت تلك الأفكار في لفظة " سخّر " وأنّه قصد شيئا أبعد من ذلك ؛ لأنّ السّفينة المتهيكلة على هيأة الدّلفين وإنْ أثارت الإعجاب وأوجبت التنزيه والتسبيح , لكنّها دون ما سخّر الله لصاحب المحراب شأنا ومرتبة , وهذا ما صرح به أبو نواس بقوله : " يا شيخ أن الله لم يسخّر لصاحب المحراب الدّلفين , وقد سخّر له ما هو خير من الدّلفين " .

وهذا التصريح من المؤلف هو ما سماه سورل المقصد ؛ لأنّ وراءه الوعي .[3] ومما يعضد صدق مقصد أبي نواس في تصريحه للشيخ قوله في البيت الأخير من القصيدة نفسها

مَــلِكٌ تقــصُرُ المــدائِحُ عنه هاشميٌّ موفقٌ للصوابِ

---

[1]- نوادر أبي نواس , إبن منظور , تحقيق يوسف البقاعي , مؤسسات الأعلميّ للمطبوعات , بيروت – لبنان , ط 1 , 1424هـ - 2003 م

[2]- م . ن : 71 , وكذا ديوانه , الحديثيّ : 365

[3]- ينظر تحليل الخطاب الشّعريّ (استراتيجية التناص) : 65

فقوله ملك إشارة الى منصب دنيوي , وهذا المنصب لا يبلغ منصب الخلافة الذي وهبّها الله لنبيه سُليمان وعليه يتضح قصد المتكلم وتظهر النتيجة واضحة ؛ لأنّ " فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم كما قال " ديكرو" .[1] ومن النماذج التي يكشف فيها المتكلم عن قصده , قول أبي نواس في قصيدة يمدح بها هارون الرشيد :[2]

واحتازها لون جرى في جلدها يقق كقرطاس الوليد هجان

إنّ رجوع النُقّاد والشّراح في تفسيرهم للعمل الأدبي الى تصريح المؤلف يعكس رؤية النُقّاد والشّراح لعائدية معنى العمل الأدبي . فكما يسأل الرجل عن شأن من شؤونه فكذلك يسأل النُقّاد والشّراح الشاعر عن معنى ما قاله بإعتبار ما قاله شأناً من شؤونه " .[3]

ومن ذلك ما أثبته الحديثيّ في تحقيق ديوان أبي نواس إذ قال " وحكى سُليمان بن نيبخت , قال : سألت أبا نواس عن معنى هذا البيت , فقال : عنيتُ صحيفة الطفل لم يكتب عليه كاتباه فيها شيئا فقرطاسه أبيض " .[4] ومن ثم يتفق الباحث مع الطرح القائل أنّ قصد المتكلم هو الذي يخصص الألفاظ ويعممها .[5]

ومن الألفاظ التي تسربلت بخصوصية المتكلم , قول أبي نواس في خمريته الموسومة ب " النخيل" : [6]

---

[1]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : 127

[2]- ديوانه , الحديثيّ : 521 – 522

[3]- ينظر القصد عند شراح ديوان أبي تمام ونقاده , فؤاد مطلب خلف , رسالة ماجستير , العراق , الجامعة المستنصرية , كلية الآداب , قسم اللغة العربية , 1421 هـ - 2000 م

[4]- ديوانه , الحديثيّ : 521- 522

[5]- ينظر نظرية القصد وأثرها في اظهار المعنى والإعجاز القرآني عند الجبّار المعتزليّ : 88

[6]- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ , حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزاليّ , دار الكتاب العربي , بيروت – لبنان : 210

فولدت السّياط لـــــها هديرا كترجيع الفحول الهائجـــات

فلما قيل قد بـــــلغت , ولمّا وتوشك أن تقرّ , وأن تؤاتى

نسجت لها عمائم من تراب وماءٍ محكماتٍ موثـــــقات

سترت الجو خـوفا من أذاه فباتت من أذاه آمنـــــــــات

يتمحور الخطاب حول تصنيع الخمور واعدادها واللغة المستثمرة من قبل المرسل لا تتوقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب , وعليه فأنّ استراتيجية الخطاب المتبعة للتعبير عن قصد المرسل هي استراتيجية غير مباشرة . أما دلالة قوله " نسجت لها عمائم من تراب " فهي دلالة تداوليّة أسهم السّياق في تحديد قصد المرسل ؛ لأنّ المعنى الإصطلاحي للفظة العمائم هي ما يلف على الرأس من القماش , لكنّ المرسل وهب هذه اللفظة دلالة خاصة هي الطين المختوم على فم الجرّة كالعمامة على الرأس في سياق معين هو سياق الخمر .

إنّ تخصيص الألفاظ لا يقتصر على سياق واحد هو غرض الخمر بل يمتد الى الأغراض الأخرى من شعر أبي نواس من ذلك تلك الرواية التي نقلها إبن منظور في نوادره " كان أبو نواس يختلف الى محمّد بن زبيدة , وكان الكسائيّ يعلمه , فقال أبو نواس للكسائي , إنّي

أريد أن أقبّل محمّد , فقال له الكسائي : إنّ في هذا وصمة وأكره أن يبلغ هذا أمير المؤمنين . فقال له أبو نواس : إنّك إن تركتني أقبّلُهُ وإلا قلتُ فيك أبياتا ورفعتها الى الرشيد , فأبى عليه الكسائيّ , فكتب أبـو نـواس فـي رقعة : [1]

قل للأميرِ جزاكَ الله صالحة لا تجمع الدّهر بين السّـخل والذّيب

السّخلُ غرٌّ وهمٌّ الذّئب غفلته والذّئب يعلم ما في السّخل من طيب

يستنتج من الرواية المتقدمة أنّ المرسل يتمتع بسلطة تمكنه من ممارسة أفعال وإلحاق الضرر بالآخرين وإنّ كان باطلا وزيفا . إنّ المعنى الحرفي في قوله " لا تجمع الدّهر

---

[1]- نوادر ابي نواس : 143

بين السّخل والذّيب " غير كاف لفهم الخـــطاب في حال اقتطاع النص عن سياقه الخارجي ؛ لأنّ السّخل والذّيب يحيلان في حقلهما المعجمي على نوعين معروفين من

الحيوانات , ومن ثم فإنّ الشكل اللغوي للتعبير لا يعكس قول المرسل إلا بتموضعه في سياقه الخاص وهو سياق التهديد . وإنّ المعنى التّداوليّ أو قصد المرسل في انجاز فعل التهديد للمخاطب \ الكسائيّ تشكل باستراتيجية غير مباشرة ؛ لأنّ المتكلم وهب السّخل والذيب بوصفهما اشارتين خصوصية في الدلالة لا تنحصر في الحقل المعجمي للفظين , فأولى العلامتين أي " السّخل " المقصود منه هو الأمين . أما الثانية فهي " الذّيب " , والقصد منه هو الكسائيّ . إنّ القراءة الفاحصة للنص داخل محيطه تُبين أن هدف أبي نواس من تهديد الكسائي كان لغاية أخرى , أو هدفا آخر هو رغبة أبي نواس في انتزاع قُبّلة من الأمين , ولهذا قد يكون الخطاب مركبا إذا ارتبط حصول فعل ما بترك فعل آخر , أو العكس عندما يكون أحدهما هو المقصود أصالةً والآخر هو المقصود تبعا , وهنا تتعدد مقاصد المرسل في ظاهرة الخطاب , فهناك قصد أوّل وقصد آخر , ولا يصح بالنظر الى القصد الأوّل بوصفه تابعا له .[1]

من زاوية أخرى فإنّ بناء احالة المتكلم يكون على نوعين من القصد استناداً لنظرية الملائمة , هما : القصد الإخباري حيث يقود المتكلمُ المخاطبَ الى معرفة خبر معين . وقصد تواصلي حيث يقصد المتكلم أنّ يتعرف المخاطب على قصده الإخباري . [2]

ومن تجلّيات القصدين في شعر أبي نواس قوله :[3]

لـمّا وردنـــــاها يــلمُ بشيحــها عـلجٌ يُحدِثُ منه مصــانع عــاد

---

[1]- ينظر استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : 194

[2]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة , من بحث " في الجهاز المفاهيمي للدرس التّداوليّ المعاصر " , مسعود صحراوي : 48

[3]- ديوان أبي نواس , شرح وتحقيق محمّد أنيس مُهرات , دار مُهرات للعلوم , سورية – حمص , ط 1 , 2009 م

قلنا : السّلامُ عليكَ قــال : عـليـكمُ مـــنّي ســـلامُ تـــحـــيةٍ ووداد

ما رمتمُ؟ قلــنا: المدام! فقــال: قد وُفـِّــقتـــُم يا أخـــوتي لرشـــادِ

عنـــدي مدامٌ قد تـقادمَ عهدُهـــا عُصِرت ولم يَشعُر بها أجـــدادي

فـــأكيلُ ؟ قلنا : بعد خُبـــرٍ إنّنا لا نشـتري سمكا ببـــطن الـوادي

جئنا بها , فأتـــى بكأسٍ أشـرقـت منها الدُّجى وأضـاء كـــلّ ســوادِ

فـــأدارها عـدداً ثلاثـــا فأنثـــنت منها النّفوسُ, ولـيس منـــها صَادِ

تدور معاني الوحدات الدلالية الصغرى في الخطاب حول صاحب الحانة ومراسيم الإستقبال وجودة الخمرة , وواضح إنّ طرفي الخطاب متعاونان متفاعلان أقصى درجات التفاعل . ويظهر من استثمار إسلوب الحوار القصصيّ أنّ الموضوع المركزي للمرسل \ أبي نواس كان السؤال عن زمن انتاج الخمرة ومعرفة ذلك بالتجريب والإختبار , وعليه فإن قوله :

فأكيلٌ ؟ قلنا بعد خُبرٍ , إنّنا لا نشتري سمكا ببطن الوادي

يحيل على قصد اخباري , أي اخبار المخاطب أو صاحب الحانة بهذا المثل , ومن ثم فأنّ هذا القصد الإخباري سيحيل على القصد التواصلي أو القصد التّداوليّ للمرسل , أي أنّنا لا نشتري سلعة غائبة حتى نتذوقها ونعرف سمينها من هزيلها , وهذا هو القصد الرئيس للمرسل مستثمرا بذلك الإستراتيجية التلميحية للتعبير عن قصده . ويظهر من خلال البيتين الأخيرين القبول والرضى بوصفهما فعليين تأثيريين أنّ المرسل كان صادقا في دعواه , وعليه نستطيع القول أن الإحالة , فعل يتأسس داخل اللحظة التواصلية ويتحقق من خلال ملاءمة تأويل التلفظ مع صدق المعلومات المتوصلة إليها .[1] وتتعلق احالة المتكلم أساسا بما

---

[1]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة , من بحث " مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية " , منال النجار : 88

تقوم به العبارة , أو ما يقوم به المتكلم , واحالة المتكلم هي في الأساس مرتبطة بشكل مباشر بالمستمعين , ذلك أنّ المتكلم يكون عنده قصد احالي ينعكس بشكل مباشر على المستمعين وهو قصد لإستعمال عبارة معينة لإحالة المستمع على شيء معين , وتختلف الإحالة اللسانية عن احالة المتكلم باختلاف مقاصد المتكلم , وانعكاس تلك المقاصد على المستمع .[1] كما في الخطاب الآتي لأبي نواس :[2]

سألتُها قُبلةً , ففزتُ بـــها بـعـــد امتناع وشـــدّة التَّـعب

فقلتُ : بـــــالله يا مُعذَّبتي جودي بأخرى أقضي بها أَرَبي

فابتسمتْ , ثم أرسلتْ مثلا يَعرفُـــــهُ العُجمُ ليس بالكـــذبِ

" لا تُعطِينَّ الصَّبيَّ واحدةً يَطلبُ أخرى بأعـــنف الطَّلبِ "

إنّ الاحالة اللسانية للمثل " لا تعطينّ الصبي واحدةً ..." تختلف عن قصد المرسل ؛ لورودهما في سياقين مختلفين , فالقصد من المثل هو النهي أو عدم الإستجابة لطلبات الصبي حتّى وإن اقتصرت على طلب واحد .

أما قصد المرسل التخييلي , وهو هنا الفتاة أو المرأة التي قبّلها الشاعر , فيختلف عن الدلالة الحرفية للمثل ؛ لإختلاف الوضعية السياقية المتكونة من المرسل – الفتاة أو المرأة – والمرسل إليه الشاعر , وسياق المجون والغزل بالمؤنث , ومن ثم يكون القصد هو زجر المرسل إليه عن طلب قُبلة أخرى ؛ لأنّ الصبي يحيل على أبي نواس و " واحد " على قُبلة. أما قوله " يطلب أخرى بأعنف الطلب " فالقصد منه " جودي بأخرى أقضي بها أربي " , والقصد من عبارة " أعنف الطلب " هو القسم والنداء في قوله : " بالله يا معذبتي " .

---

[1]- ينظر م . ن : 47

[2]- ديوانه , محّمد أنيس مهرات : 105

المبحث الثاني

استراتيجيات القصد ومستوياته اللغوية

إنّ المعنى الذي يقصده المتكلم يتخذ له من الوسائل اللغوية والمقامية ما يعين على ادراكه فقد ادرك أن قصد المتكلم مُراعىً فيه حال المخاطب , وإن قصد المتكلم هو الذي يحدد طريقته التي يتحدث بها ويتغير تعبيره عنه قوة وضعفا بتغيّر الموقف الكلامي . فالطلب مثلا غرض أساسي من أغراض المتكلم لكنه يتفاوت شدة ولیناً فقد يكون أمرا على سبيل الإستعلاء يوجب الطاعة وقد يكون التماسا بين متساويين في المنزلة , وقد يكون دعاء من الأدنى الى الأعلى وكل ذلك منظور فيه الى طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطـب .[1] وهذا ماأكده أحد الباحثين بقوله " إنّ العلاقة هي التي تحدد الإستراتيجية المناسبة لتجسيدها وورود الفعل المتوقعة " .[2] وعليه يمكن تعريف استراتيجية الخطاب بأنّها :" عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ اراداته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلاقات اللغوية وغير اللغوية ,وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل ".[3] ومن بديهيات المعرفة أنّ كل سلوك اتصالي موجه الى هدف والاهداف مختلفة , والقضية التي تشغل بال الباحثين في شتى أنواع الاتصال اللغوي هي كما يقول رومان ياكبسون مطابقة الوسائل المستخدمة للأثر المستهدف.[4] أما أبرز استراتيجيات القصد عند المرسل

---

[1]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 112د . محمود أحمد نحلة أستاذ العلوم اللغوية , كلية الآداب جامعة الإسكندرية , مكتبة الآداب , القاهرة , ط1 , 1422هـ - 2011 : 112 - 113

[2]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : 49

[3]- م . ن : 62

[4]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة , من بحث " تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التّداوليّ للخطاب " محمّد العبد 323

في شعر أبي نواس فهي :-

أوّلاً – الإستراتيجية التضامنية : وهي الاستراتيجية التي يحاول المرسل أنّ يجسد بها درجة علاقته بالمرسل اليه ونوعها وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما واجمالا هي محاولة التقرب من المرسل اليه وتقريبه ".[1] ومن الأدوات اللغوية من هذا النمط من الإستراتيجية :

1-**العلم** : يستعمل المرسل الاسم الأوّل للمرسل اليه عند ندائه مثلا أو عند الحديث عنه إذا كان المرسل أدنى من المرسل اليه مرتبة ولمس رغبة لدى المرسل اليه أو تسامحا في محو ذلك الترتب .[2]

من ذلك قول أبي نواس :[3]

ونورُ محمّدٍ أبداً تمامٌ على وَضَحِ الطريقةِ لا يجُورُ

لاريب أنّ الفعل المنجز من قبل المرسل – أبي نواس- هو مدح الخليفة العبّاسي محمد الأمين وقد لجأ الشاعر بوصفه مرسلا في التعبير عن قصده الصريح المدح من خلال ذكر اسم المخاطب الذي هو أعلى مرتبة منه مجردا عن أي كنية أو لقب من الألقاب . وربّما يعود الى سلطة المرسل كونه نديم الخليفة بل أقرب ندماء العصر الى محمد الأمين ومن ثم هيأت تلك العلاقة الاجتماعية الى التصريح باسمه ويعكس ذلك قرب المسافة بين المرسل الأدنى مرتبة بالمرسل اليه الأعلى مرتبة وعمق الأواصر بينهما أو يكون ذلك نتيجة الأعراف السائدة والمتّداولة بين الشعراء وممدوحيهم . ويرى الباحث أنّ السياق النصي للمقطوعة المدحية قد اتكأ على التصريح بشكل واضح بوصفه سمة أسلوبية لإبراز غرض

---

(1)- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : 257

(2)- ينظر م . ن :270

(3)- ديوانه , الغزاليّ : 422

المتكلم وقصده ومن ثم فإن النطق بالاسم هو لتحقيق سبك الخطاب وليكون مظهراً من مظاهر انسجامه .

2-**الكنية واللقب :** يستعمل المرسل الكنية عوضاً عن الإسم الأوّل وقد يكون مرد ذلك الى اعتبار التضامن مع قدر قليل من الرسمية .أما اللقب فقد أصبح استعماله تداوليّا دليلا على التضامن بشرط أن يتلفظ بها المرسل إمّا بالتنغيم المستوي أو تنغيم مناسب للسياق والمعنى أو القصد وإلا انعكس القصد.[1]

ومن النماذج التي تعكس ذلك قول أبي نواس يمدح الأمين العبّاسيّ :[2]

قامَ الامينُ بأمــرِ اللهِ في البـشرِ واستقبلَ الملكَ في مســتَقبلِ الثَــّمرِ

فالطّيرُ يُخبرُنا, والطّيرُ صادقـةٌ من طيبِ عيشٍ, وعن طولِ من العُمُرِ

فيملكَ الأرضَ أقصى ما تعدُّ يدٌ حتّى يدبَّ كلّــيلَ الصَّــــوتِ والنَّظرِ

قد زينَّ اللهُ دنيــانا ,وحــــسنَّها بابنِ الشّفيعِ الى الرّحمنِ في المــــطرِ

وادادتِ الأرضُ لمّا ساسها سعةً حتى تضاعفَ نـور الشّمس والقــمرِ

كما هو جلّي فإنّ المقصد من هذا الخطاب هو مدح أيضا ونستشف من السّياق اللغوي أنّ المرسل – أبا نواس- قد وجه خطابه الى المرسل اليه محمد الأمين في مستهل خلافته بدليل قوله : " أقام الأمين ...واستقبل الملك " وبديهي أنّ العلاقة بين المتكلم والمخاطب هي علاقة رسمية لم تغشاها بعد الحميمية والصداقة العميقة ومن هنا نفهم أنّ السبب في اللجوء الى الألقاب والكنى بدلا من التصريح بالاسم .وخطاب الشاعر من استعمال اللقب (الأمين)

---

[1]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : 275

[2]- ديوانه , الغزاليّ : 422

واضح القصد فهو يريد الخليفة العبّاسيّ محمد الأمين , وأما قوله " بإبن الشفيع الى الرّحمن في المطر " فإنّ قصده من إبن الشفيع أنّه يريد العبّاس بن عبد المطلب , فقد رُوِيَ عن أنس : " أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب فقال اللّهُم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا وإنّا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاسقنا , قال فَيُسقون " .[1] لقد اختزل أبو نواس سلسلة النسب بين الأمين والعبّاس بن عبد المطلب بقصد الإشارة الى الكرامة التي حصلت لجد الخليفة وأنّه يحظى بمقام رفيع ومنزلة سامية كما يستشف من هذا الشطر من الخطاب أنّ أبا نواس قصد مدح الجد الأعلى وألحق الأمين بعد ذلك . ومن الشواهد على الكنية بوصفها أداة لغوية ضمن نمط الإستراتيجية التضامنية قول أبي نواس في مدح هارون الرشيد :[2]

تباركَ مَنْ ساسَ الأمورَ بعلْمِـــــهِ وفضّلَ هارونَاً على الخلفاءِ

نعيشُ بخيرٍ ما انطوينا على التُّقى وما ساسَ دنيانا أبو الأمَناءِ

السّياق التّداوليّ لهذا الخطاب هو سياق المدح ولعل استعمال المرسل في خطابه أبو الأمناء بدلا من التصريح بالاسم لإحتمالين :

الأوّل: إنّ قصد المرسل من " أبو الامناء " هو نسبة لألقاب أولاده الثلاثة وهم على التوالي : الأمين والمأمون والمؤتمن .

الثاني : إنّ قصد المرسل من " أبو الامناء" هو إن لكل شيء أباً أو أصلاً ومن تلك الموجودات الامانة ومن ثم يكون هارون الرشيد هو أب الأمناء من الخلفاء والعلامة النصية التي تعضد هذا التأويل هي قوله :

---

[1]- ينظر , صحيح البخاري ,لأبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاريّ الجُعفيّ , مطابع الشعب , 1378 هـ , باب الإستسقاء : 2 \ 34

[2]- ديوانه الغزاليّ : 402 – 403

تبارك من ساس الامور بعلمه وفضّل هاروناً على الخلفاء

فقوله " فضّل هاروناً على الخلفاء" تعبير صريح عن أفضلية هارون ومعيار هذه الأفضلية هي الأمانة . ومن آليات تجسيد استراتيجية التضامن :

3-المكاشفة : يعدُّ كشف الذات عنصرا من عناصر التضامن أو دليلا على القرب ويتفاوت الناس من اطلاع الغير على الأشياء العامة الى كشف أدق الخصوصيات , وعلى ذلك فاستعمال الصراحة مع مرسل اليه معين هو دليل على التضامن والثقة فيه .[1] ومن نماذج المكاشفة في شعر أبي نواس قوله :[2]

قالوا تنسّكَ بعد الحجّ: قلتُ لَهُمْ أرجو الإلهَ وأخشى طَـيْزنابـــاذا

أخشى قُضَّيبَ كَرْمٍ أنْ يُنازِعَني فضلَ الخِطام وإنْ اسرعتُ إغْذاذا

فإنْ سَلِمتُ – وما قلبي على ثقةٍ من السَّلامة- لم أَسلَـــــمْ ببَغْذاذا

في هذه العملية التخاطبية نجد المرسل الحقيقي – أبا نواس – يفصح بكل ما لديه للمرسل اليه أو بالأحرى مجموعة المرسلين وضمير الجمع في " قالوا " هم اصدقاء أبي نواس وكانوا حين يريدون معابثته يشيعون عنه أنّه تنسك وتاب عن شرب الخمر وكان هذا يغيظه ويثيره عليهم .[3] لقد كان الدافع وراء كشف أبي نواس لقصده هو غفلة اصدقائه أنّه تغير وابتعد عن شرب الخمر وارتياده الحانات . وهذا التصريح بالقصد يعكس صدق أبي نواس وعدم نفاقه ؛ لأنّه كشف لأصدقائه أولا وللسامعين ثانيا . ولقد وظّف الشاعر الإستراتيجية التضامنية لبيان قصده أو الاخبـــار بالامـــر على وجه الحقيـقة . ومن الشواهد الشـــعرية لأبي نواس في توظـــيف الإستراتيجية التلميحية لكشف القصد قوله :[4]

---

(1)- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : 302

(2- 3)- ديوانه , الغزاليّ : 26